

دور المؤسسات التعليمية والثقافية في تعزيز الهوية الوطنية The role of educational and cultural institutions in promoting national identity

خليل وهيبة

جامعة يحي فارس بالمدينة (الجزائر)

khelil.ouahiba@univ-medea.dz

ملخص:	معلومات المقال
الهدف من هذا البحث هو محاولة توصيل فكرة المتحف والمؤسسات التعليمية بأن هوية الطفل تنمو وتتعزيز من مقاعد الدراسة والزيارات المتحفية، وربطهما ببعضهما البعض والتركيز عليهما، لكي لا تتأزم الهوية الوطنية لدى التلميذ والطالب بفعل عوامل عدة، فما هو دور المتحف بالمؤسسات التعليمية في تعزيز الهوية الوطنية؟ وما هي أهم المقترحات والحلول للحفاظ عليها وغرس مبادئها وقيمها في الجيل الصاعد؟ ومن أهم النتائج المتوصل إليها هو لابد من ربط المتحف بالمؤسسة التعليمية والتربوية للحفاظ على الموروث الثقافي والوطني، وسنأخذ المتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية بالجزائر العاصمة كنموذج في هذا البحث.	تاريخ الارسال: 2022/03/23 تاريخ القبول: 2022/05/14 الكلمات المفتاحية: ✓ الهوية الوطنية ✓ المؤسسة التربوية ✓ المتحف
Abstract :	Article info
This paper highlights the importance of school and museum visits in the formation of the national identity of children. The paper seeks to explore the role educational and cultural institutions such museums in promoting national identity and patriotism and in preserving the national cultural heritage. The National Museum of Ancient Antiquities and Islamic Arts of Algiers has been selected to investigate these issues.	Received :23/03/2022 Accepted :14/05/2022 Keywords: ✓ National identity ✓ Educational institution ✓ Museum

❖ **مقدمة:** الهوية الوطنية هي عبارة عن مجموعة من الموروثات الحضارية المكونة للسلوك الإنساني، والتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتراث الثقافي والعادات والتقاليد لأي مجتمع، فهوية الفرد هي عقيدته و لغته وثقافته وحضارته وتاريخه، إن شعور الفرد بالانتماء إلى مؤسسة ثقافية كالمتحف والتعليمية كالمدرسة والجامعة يعتبر عاملاً نفسياً واجتماعياً لتحفيزه في المحافظة على الهوية الوطنية، وتسهيل عملية الاتصال والاندماج المباشر مع أفراد المجتمع، وللحفاظ على هذه الهوية الوطنية وسيورتها في المجتمع وتعزيزها للأجيال الناشئة، لابد من التركيز على المؤسسات التعليمية (المدرسة - الجامعة)، والثقافية كالمتحف مثلاً، وربطهما ببعضهما البعض، للمحافظة على الهوية الوطنية، فما هي علاقة المتحف ودوره في المؤسسات التعليمية لتعزيز الهوية الوطنية؟، وما هي أهم المقترحات والحلول للحفاظ على الهوية الوطنية وغرس مبادئها وقيمها في الجيل الصاعد الذي تكونه المؤسسات التربوية والثقافية (المدارس - الجامعات - المتاحف..؟)، وسنأخذ المتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية بالجزائر العاصمة كنموذج في هذا البحث، وتتبع أهمية الدراسة طبيعة الموضوع المتناول، حيث تتمثل أهمية الهوية الوطنية للتلميذ مطلباً اجتماعياً ملحاً، فالحفاظ على الهوية الوطنية للفرد العربي المسلم من الأهداف التي يسعى إليها كل محب غيور على بلده، وهذا لترسيخها وتعزيزها في ظل العولمة التي أثرت على النشء (الجيل) القادم.

اعتمدنا في هذا البحث على الجانب النظري والجانب التطبيقي، ففي الجانب النظري الذي يعتبر ركيزة أساسية لهذا البحث، قمنا فيه بجمع كل المعلومات من المراجع العربية والأجنبية التي تتعلق بالموضوع، واستعنا فيه بالمنهج الوصفي التحليلي، بوصف الظاهرة وتشخيصها وإلقاء الضوء على مختلف جوانبها وتحليلها وهذا يربطها بالجانب التطبيقي إذ أخذنا بعض النماذج للوصول إلى أهمية المؤسسة الثقافية والتربوية في ترسيخ الهوية الوطنية لدى الفرد، وتوضيح ما للمؤسستين من دور في تشكيل الهوية الوطنية وصولاً إلى إعطاء مجموعة من الحلول والاقتراحات للمحافظة عليها في ظل تغيرات كثيرة في المجتمع كالعولمة والعواقب المترتبة عليها. فلا بد من التعاون والتنسيق بين المؤسسات التعليمية والتربوية والمتاحف لتساهم في تطوير وتنمية معارفهم التاريخية و الجغرافية و العلمية والأدبية، وكله هدف لربطهم بتراثهم من أجل الحفاظ على هويتهم.

❖ تحديد المفاهيم الأساسية:

- **الهوية الوطنية:** يرى شراد (2015) أن قضية الهوية الوطنية تشكل محور اهتمام تشكل قضية الهوية الوطنية محور اهتمام المفكرين والمتقنين والسياسيين كونها حصن الوطن المنيع لأي دولة، فالهوية الوطنية مشتركة جمعي يستوعب الجميع ويضمن التوافق والانسجام ويراعي الخصوصيات والتنوع الثقافي الموجود في ربوع الوطن، فالهوية تعبير اجتماعي وطني وبقاء الأمم مرهون ببقاء هويتها، ولهذا يمكن تعريف الهوية لغة واصطلاحاً كما يلي:

فلغة يعرف البستاني (1987) أن أصل الهوية يرجع في اللغة إلى الضمير (الهو: أي هو)، بضم الهاء في كل، وهو لفظ مركب من "الهو هو"، جعل اسما معرّفا بالأم ومعناه الاتحاد بالذات. ويضيف مصطفى (1972) أنه جاء التعريف اللغوي للهوية بفتح الهاء على أنها "البئر بعيدة القعر"، أما الهوية بضم الهاء فعرفت على أنها "باطن الشخص الدال على حقيقته واتجاهه"، فهي "حقيقة الشيء أو الشخص التي تميزه عن غيره". وبذلك يعرف شراد (2015) الهوية لغة أنها جوهر ولب الشخص أو الشيء الدال عليه.

أما اصطلاحاً فالهوية مصطلح ينتمي إلى المعجم الفلسفي العربي منذ العصر الوسيط، ويحيل في المنطق إلى مبدأ الذاتية أو الهوية كمقولة ميتافيزيقية دالة على الماهية، حيث يقول الفارابي "هوية الشيء وعينيته وتشخصه وخصوصيته ووجوده المنفردة له كل واحد، وقولنا أنه هو إشارة إلى هويته وخصوصيته ووجوده المنفرد له الذي لا يقع فيه اشتراك، (أورد في : دليو، 2010)، ويقول صليبا (1973) أن لفظ الهوية يطلق على معان ثلاثة: التشخص، والشخص، والوجود الخارجي، وقد عرفها الجرجاني (1405هـ) بأنها "الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق، أي بمعنى الأمر المتعلق من حيث امتيازها عن الأغيار. ويضيف عطية (2009) قائلاً أن الهوية هي الطابع المميز لخصوصية وتفرد الأشياء والأشخاص عن بعضهم بعضاً، والهوية هي الركيزة بالمعنى السياسي، وهي الذات عندما تحيل إلى ذاتها، وهي نقيض الآخر تسمو عليه أو يسموا عليها، وهي الجوهر والتعالى والرمز، وهي المعيار الضابط لكل ممارسة وهي أيضاً تشير إلى المشابهة والمماثلة في كل شيء جوهري.

وفي نفس السياق يذكر ابراهيم (2002) أننا نجد مفهوم الهوية يستخدم للمعنى الفردي وهو ما يعرف بالهوية الفردية، كما يستخدم للمعنى الوطني وهو ما يعرف بالهوية الوطنية، حيث أن الهوية الفردية تعتمد أساساً على المميزات الجسدية الفردية التي تميز كل كائن بشري عن الآخر، من بين ملايين البشر في المعمورة، أما الهوية الوطنية فنسبة إلى الوطن الذي يسكنه شعباً متميزاً بشخصيته وهويته، وأساس الاختلاف بين الهوية الشخصية والهوية الوطنية هو اختلاف في النوع فحسب وليس اختلاف في الدرجة، فالهوية الشخصية تقوم بالأساس على السمات الجسدية أما الهوية الوطنية فهي تقوم على مقومات ثقافية، ولا يوجد أي تناقض بينهما فهما ترتبطان بعلاقة الكل بالجزء.

عرف المؤتمر العالمي لوزارة الثقافة بمكسيكو سنة 1981 الهوية الوطنية على أنها جماع الصفات الذاتية والروحية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعا بعينه أو فئة اجتماعية بعينها،

وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان، ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات، وهي مجموع التراث الثقافي والحضاري الذي تراثه جماعة ما عن ماضيها و يساهم في تشكيل كيائها، فالهوية هي وعي الجماعة بتاريخها وتعرفها على ذاتها من خلاله، وأن الثقافة هي التي تمنح الإنسان قدرته على التفكير في ذاته. أورد في: بن نعمان، (1996)، إذن فالهوية هي الذاتية و الخصوصية وهي القيم والمثل و المبادئ التي تشكل الشخصية الفردية أو المجتمع، وهوية الفرد هي عقيدته و لغته وثقافته وحضارته وتاريخه، وكذلك هوية المجتمع فهي الروح المعنوية والجوهر الأصيل لكيان الأمة، الهوية أيضا هي الوعي بالذات الاجتماعية والثقافية، وهي ليست ثابتة و إنما تتحول تبعا لتحول الواقع.

■ **المتحف الوطني للآثار القديمة:** يقع المتحف الوطني للآثار القديمة في حديقة الحرية وسط العاصمة، ويرجع تاريخ تدشينه إلى عام 1897م، وهو من أقدم متاحف الجزائر وإفريقيا، يمتاز ببنائه المعماري ذو الطراز الإسلامي المغربي الجميل. عرف تسميات وتنقلات عديدة منذ إنشائه عام 1835م. فسمي أولا بمتحف الآثار الجزائرية، ثم المتحف الجزائري للآثار القديمة و الفنون الإسلامية، ثم متحف ستيفان قزال نسبة لأحد أشهر علماء الآثار الفرنسيين، كما سمي بالمتحف القومي للآثار، و أخيرا تسميته الحالية، يحتوي على تحف أثرية لمختلف الحضارات التي تعاقبت على الجزائر منذ فجر التاريخ إلى نهاية القرن العشرين.

تتوزع مجموعات المتحف على جناحين أساسيين هما: جناح الآثار القديمة، وتعود أولى مجموعاته إلى عام 1835م، وتضم تماثيل ولوحات فسيفسائية وتحف من البرونز والفخار والزجاج والخشب. تنتمي إلى أهم الحضارات التي تعاقبت على الجزائر، وهي: الليبية، النوميدية، الموريطانية، البونيقية، الرومانية، الوندالية والبيزنطية. أما جناح الثاني فهو جناح الفنون الإسلامية والمسكوكات، فترجع بداية هذه المجموعة إلى عام 1846م ثم أثريت بمجموعات أخرى إثر معرض الفن الإسلامي الذي أقيم عام 1905م وأضيفت إليها المجموعة التي أهدتها السيدة لوس بن عابن للمتحف، وبمناسبة اليوم العالمي للمتاحف 18 ماي 2003م أفتتح أول جناح خاص لعرض الفنون الإسلامية بالجزائر، زين المبنى ببعض الزخارف الإسلامية، وقد روعي في عرض المقتنيات التسلسل الزمني للحضارة الإسلامية بدءا من الفترة الأموية مروراً بالفترة العباسية والرسومية والأغلبية والزييرية والحمادية والمرابطية والموحدية والحفصية والمرينية والأندلس والعثمانية ودولة الأمير عبد القادر حتى نهاية القرن العشرين، ووزعت على عدة قاعات، وجهاز جناح الفنون الإسلامية بجهاز إعلام آلي يستطيع الزائر من خلاله التعرف على الفن والمارة الإسلامية من الفترة الأموية حتى نهاية الإمبراطورية العثمانية، إضافة إلى التعرف على الحضارات الكبرى لحوض البحر المتوسط من خلال الموقع الإلكتروني

www.discoverislamicart.org (انظر الصورة رقم 01) (أورد في: خليل وآخرون ،
(2011).

الصورة رقم 01: صورة المتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية



❖ دور المتحف في المؤسسات التربوية لتعزيز الهوية الوطنية: أشار ساطع (د.س)

أن الدور المحوري الذي تلعبه المدارس والجامعات كمؤسسات تربويتين وتعليميتين رائدتين في مجال التنشئة الاجتماعية من خلال غرس القيم والمفاهيم وإكساب السلوكيات الايجابية ذات الصلة بغرس وتعزيز الهوية الوطنية من خلال الاهتمام بالتربية الوطنية والموروث الثقافي والوطني، فبعض المناهج الدراسية لا تزال قاصرة في طرحها ولا تسهم إلا بشكل طفيف في تأجيج مشاعر الوطنية لدى طلبتها وتلاميذها، فالمدرسة هي المكان الأمثل لبناء الشخصية والهوية لأن البرامج والمناهج الدراسية التي تغذي عقل ووجدان التلميذ والطالب تؤكد له على أن الانتساب الحقيقي للوطن هو محور وأساس استمراره وانتمائه، وغياب الانتساب يعني ضعف المجتمع بل وانهاره وبالتالي ضعف الهوية الوطنية، فلا بد من تغيير الطرح الهوياتي، وإخراج الطالب والتلميذ من الرتبة، وإيجاد خطاب ثقافي تربوي وتعليمي جديد، وذلك بربط المدرسة والجامعات بالمتاحف، فهذه الأخيرة تعد بمختلف أنواعها مؤسسات ثقافية حضارية هامة للمجتمع من شأنها نشر وتعميق ثقافته وتاريخه وهويته الحضارية وتراثه الفكري والمادي، حيث تخطت الكثير من المتاحف دورها التقليدي في عرض تحف يخشى ضياعها وتزدحم قاعاتها بالمعروضات، فتغيرت صورة المتحف وأصبح مؤسسة متكاملة تلعب دورا هاما في الحفاظ والصيانة ونشر التراث الثقافي والحضاري ليكون المتحف مركزا ثقافيا مكمل للمدرسة نتعلم فيه تاريخنا الطويل عبر العصور وأصبح كمركز يعمل على بناء شخصية المواطن وإعداده بما يتلاءم مع المفاهيم الوطنية والإنسانية، ليكتسب هوية وطنية ثابتة، إن الرسالة المتحفية تهدف إلى خلق لغة تواصل بين المتمدرس خاصة الطفل والقطع المعروضة، بحيث أن انعدام هذا التواصل يفقد المتحف دوره ومكانته فالتربية المتحصل هي التربية المتحفية، فهذه التربية التعليمية والتربوية لها فوائد على تنمية الزائر شخصيا وثقافيا وبالتالي تكوين هوية متينة.

إن إعداد المناهج الدراسية وربطها بالمؤسسات الثقافية كالمتحف مثلاً، الذي يربط المواطن بدولته وعروبته وتراثه الإسلامي في المؤسسات التربوية من مدارس ومكتبات وكليات ومواقع الانترنت، تساهم في إعداد وتكوين التلميذ والطالب وإمداده بالمعلومات والمعارف في المجالات المرتبطة بالموضوعات الدراسية مع ضرورة أن يكون أسلوب التدريس مطوراً لشخصية الطالب ومساعداً على التفكير العلمي بدلاً من أسلوب الحفظ الذي لا يساهم في تنمية عقلية الطالب وتفكيره بالشكل المطلوب، واستبداله بالخطاب الثقافي التربوي التعليمي المتطور، وربطه بالملحوس وبالتالي تحتاج مدارسنا وجامعاتنا غرف واسعة تتضمن نماذج وطنية وإسلامية من تاريخنا وحضارتنا العربية وذلك عبر صور وأفلام وأشرطة سمعية تتضمن نماذج ومجسمات وعينات تعليمية جذابة تستعرض مثلاً المخطوطات النادرة والشخصيات البارزة، والأحداث الهامة والخرائط، والعملات الورقية والمعدنية، والآلات والأشكال الصناعية... التي ابتدعها السابقون، التي تكون بمثابة الخطاب الثقافي والتربوي والتاريخي لتعزيز وتثبيت الهوية، وهذا الأسلوب لن يتم إلا إذا ربطنا المتحف بالمؤسسة التعليمية، من خلال:

■ **الإعلام الآلي:** تعد الرسالة التربوية المتحفية من أهم الأدوات التي يتطلع الطرفان بالقيام بها كأداة للاتصال مع المجتمع بصفة عامة والمؤسسات التربوية بصفة خاصة، فالإحصاءات والدراسات التي أعدت في البلدان الأوروبية أظهرت مدى نجاح عملية إشراك الطفل المتمدرس في محاولة استرجاع الحقب التاريخية الماضية وتعاطيه مع القطع الأثرية يسرع عملية الاستيعاب والفهم لديه، وبالتالي ترسخ في ذهنه وتغرس فيه حب وطنه وهويته.

إن معظم الطرق التربوية في البلدان الإسلامية والعربية لا تعتمد على الوسائل التعليمية المتطورة المختلفة كالفيديو والحاسوب وداتاشو وغيرها من الوسائل التعليمية المتطورة، ويعتمد نجاح المدرس على أهمية هذه الوسائل ومدى توفرها، وأن نقصها يؤثر على نجاح المعلمين والمدرسين في تنفيذ مهامهم التربوية والتعليمية، لأن ما يسمع ويشاهد ويقرأ ويجرب أثناء إلقاء الدرس النظري أو العملي يسهم إلى حد كبير في مساعدة المتلقين على التعليم بشكل أفضل، ورغم ذلك يجد المدرس أو المعلم أحياناً صعوبة كبيرة في إيجاد وسائل ضرورية لإيضاح الدروس لطلابه، فإذا كانت لديه صورة للأدوات الحجرية التي استخدمها الإنسان القديم فإنه لا يمتلك هذه الأدوات مما يجعل الطلاب يتساءلون عن شكل الأدوات ولونها والمواد التي صنعت منها أو عن كيفية وطريقة تبليط الأرضيات في الفترات القديمة بالفسيفساء إلى غير ذلك من التساؤلات عن الحضارات القديمة وعن تراث أجداده، وكيف كانوا يعيشون ويستخدمون الوسائل البسيطة، وهذا ما يجعل المتحف يتميز عن المدرسة بتوفره على هذه الوسائل التعليمية، ولهذا نقترح في هذه النقطة ما يعرف بالرقمنة المعلوماتية، وهي تحضير أو إعداد نظام معلوماتي دقيق يتم فيه تخزين هذه الصور والمعلومات عن التحف والتي تكون مرتبطة بالبرنامج التربوي وعرضها للطلاب أثناء الدرس وهو جالس في مقاعد المدرسة، فيتفاعل الطالب أو التلميذ مع النماذج الرقمية للأغراض

الثقافية بأسلوب عفوي و مشوق، فمثلا عرض طريقة اللباس أو الأكل أو كيفية صناعة الفخار أو الفسيفساء في الفترات القديمة بطريقة مرقمنة، كما يوجد نظام آخر يمكن التلميذ أو الطالب من زيارة المتحف وربط درس التاريخ أو الحضارة مع المتحف وقاعاته وهو جالس في حجرات القسم، وهذا ما يسمى بالمتحف الافتراضي (Virtual Museum)، فالمعارض والمتاحف الافتراضية تمكن جمهورا متنوعا ومنهم الطلاب والتلاميذ من مختلف الأعمار والمعوقين، من النفاذ والتفاعل مع عدد هائل من التحف الأثرية بطريقة جذابة وتثقيفية، إضافة إلى إنشاء معارض افتراضية بنماذج ثلاثية الأبعاد للقطع الفنية، مثل موقع المتحف الافتراضي بلا حدود للمتحف الوطني للآثار القديمة بالجزائر العاصمة (www.discoverislamicart.org) (انظر الصورة رقم 02).

الصورة رقم 02: المتحف الافتراضي بلا حدود (المتحف الوطني للآثار القديمة والفنون) www.discoverislamicart.org



■ **الحقيبة المتحفية:** يذكر لعمى (2006) أنها عنوان لعمل متواصل يقوم به المسؤولون على المتحف بالتنقل إلى مختلف المدارس والجامعات (الآثار - التاريخ) للتعريف بالمتحف وأهم التحف الأثرية التي لها صلة بالدروس المقدمة في المدارس والجامعات، سواء عن طريق المعارض أو أقراص (dvd) أو أفلام أو فيديوهات وغيرها، وشرحها لتسهيل الفهم، وتجرى مسابقات بين المؤسسات التربوية التي زارها المتحف وتقديم جوائز تخص التحف المعروضة وتكون تقليدية، ويحتفظ بها كتذكار، فالمتحف هو المساعد المثالي للتعليم الرسمي بحيث يساهم في إبراز العلم والمعرفة لدى التلاميذ إذ أن عرض مجموعة من التحف الأثرية عن طريق الحقيبة المدرسية والمعارض المتنقلة أو عرض بعض صور التحف الأثرية على التلاميذ أثناء إلقاء الدرس الذي يشمل تلك التحف من شأنها أن تنمي وتحثهم على العمل والإبداع في وقتنا الحالي ويسهل على المدرسين إلقاء دروسهم، لهذا فعلى الأولياء والمربين أن يتيحوا أو يحثوا أبناءهم فرصة زيارة المتاحف ومشاهدة مجموعة الممتلكات الثقافية لتتكون لديهم فرصة التأمل بعمق والتفكير بحرية والاستنتاج برغبة ودقة، مما يساعدهم على حسن تكوين شخصياتهم وتنمية طاقاتهم، والحفاظ على هويتهم.

■ **المعارض:** تعد المعارض من أهم وسائل الاتصال بين المدرسة والمتحف، لما تقدمه من مادة ثقافية وتربوية متميزة في قالب علمي مبسط مقرون بالمتعة وذوق الفن، كأسلوب بديل للتحسيس بالهوية الوطنية، فتعد المعارض بمختلف أنواعها الدائمة والمتنقلة والمؤقتة، من أهم وسائل جلب المتدرسين إلى المتحف وإخراجهم من حجرات المدرسة، لمشاهدة المعروضات الجديدة ومن خلالها التعرف على باقي قاعات المتحف ومعروضاتها وربطها بالدروس المقررة، فالمعارض المؤقتة مثلاً تقام من حين لآخر داخل قاعات العرض بالمتحف وخارجه، وقد يدوم وقت العرض في مثل هذه المعارض من خمسة عشر يوماً إلى ستة أشهر، ويجب أن تقام هذه المعارض وفق مقاييس معلومة ومحددة، تعالج موضوعات تهم المتدرسين وربطها بالهوية الوطنية، وبالتالي تثقيف التلميذ والطالب من خلال تعريفه بأصول هويته وانتمائه الثقافي انطلاقاً من التحف المعروضة ذاتها، أما المعارض المتنقلة فيقصد بها المعارض التي تقام خارج المتحف لمدة تتراوح بين يومين كأدنى فترة وأسبوع، ينتقل من خلالها المعرض من مؤسسة إلى أخرى ومن مكان لآخر، وهي معارض خاصة ذات بعد تربوي وتحسيسي، الغاية منها نشر الثقافة المتحفية وتربية النشء وتحسيسهم بأهمية التراث في تكوين شخصيتهم وغرس روح الهوية الوطنية، وبالتالي ينمو حب الانتماء في نفوس الجيل وتتوق أنفسهم إلى المزيد من المعرفة والإطلاع على تراث أسلافه بهذا الخطاب الثقافي التربوي التعليمي (انظر الصورة رقم 03).

الصورة رقم 03 : إعلان معرض الصناعات المعدنية الإسلامية للمتحف الوطني للآثار وإحدى قاعات العرض



■ **المطبوعات:** تلعب المطبوعات دوراً هاماً في نشر الوعي الثقافي بين أوساط التلاميذ والطلاب حيث تصدر المتاحف بمختلف أنواعها مجلات ومطويات كل سنة تقريباً يشارك فيها باحثي المتحف والأساتذة الجامعيين حول التحف الأثرية الموجودة بالمتحف ومواضيع تتعلق بالآثار وحفظ التراث، كما تقوم المتاحف بنشر كتالوجات عن المعارض المنظمة، فيستحسن أن توزع على المدارس والجامعات، وتستغل في الدروس المقترحة من طرف وزارتي التربية والتعليم العالي، وهكذا يبقى

التلميذ والطالب على اتصال بالمتحف بصورة دائمة ومعرفة تاريخ أجداده باستمرار، للحفاظ على هويته وعدم زعزعتها في ظل التكنولوجيا الجديدة، والانفتاح على الغرب (انظر الصورة رقم 04).

الصورة رقم 04: نموذج من مطوية المتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامي



- إحياء شهر التراث (من 18 أفريل - 18 ماي): تم اختيار الفترة بعناية مدققة فهي أولا لا تتزامن مع الفصل الثالث وهو إيدان بنهاية الموسم الدراسي للتلاميذ، ونهاية شهر التراث بالنسبة للمتحف ترتبط باليوم العالمي للمتاحف المصادف ل 18 ماي من كل سنة، والذي بدأ الاحتفال به سنة 1977م، وفي كل عام تقوم وزارة الثقافة باختيار موضوع للاحتفال بهذا اليوم، ويستحسن اقتراح مواضيع تخدم جميع الأطوار التعليمية وتكون ذات صلة بمحاور الدراسة، وحثها وتشجيعها للمحافظة على الهوية الوطنية، ويكون الدخول للمتحف مجانا، فيقوم المسؤولون عن المتحف طيلة هذا الشهر بتسطير برنامجا ثريا ومتنوعا وذلك من خلال تنظيم عدة معارض للتحف والصور الفنية التي يضمها المتحف والتي تخدم الموضوع، كما يقوم المتحف باستدعاء تلاميذ الأطوار الثلاثة وإقامة مسابقة لهم، وهذا بعد قيامهم بزيارة إلى المتحف، وطرح مجموعة من الأسئلة عن هذه الزيارة في أوراق تسمى بـ "الاستبيان"، يتم الإجابة عليها وتصحيحها من طرف محافظي المتحف وبعض المختصين، وفي الأخير توزع جوائز على الفائزين الأوائل، (انظر الصورة رقم 05).

الصورة رقم 05: نموذج من الاستبيان المتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية



كما تبين الإحصاءات المستقاة من المتحف أن الزوار المتمدرسين خلال هذا الشهر تتزايد نسبهم إذا ما قورنت بعدد الزوار خلال الشهور الأخرى، (انظر الجدول رقم 01)، وهذه وسيلة من وسائل جلب الزوار إلى المتحف وخاصة المؤسسات التربوية.

■ **الورشات:** إن القيام بورشات ثابتة أو متنقلة تلعب دورا هاما في الخروج من الدرس النظري إلى التطبيقي، وبالتالي الفهم والاستيعاب بدرجة عالية لدى التلميذ أو الطالب، لذا نقترح هذا النوع من الورشات لتسهيل الخطاب الثقافي التربوي وربطه بالدروس المبرمجة، فمثلا لدينا مجموعة من الدروس في التاريخ القديم أو التاريخ الإسلامي، أو علم الآثار حول أهم الصناعات في الحضارة الرومانية أو العثمانية، فعندما يقوم المعلم بشرح تقنيات الصناعة نظريا لا يستوعبها الطالب، بقدر ما يستوعبها تطبيقيا وأمام عينيه وبيده، مثل صناعة الفخار والفسيفساء والبلاطات الخزفية التي كانت وما زالت تزين الجدران، والرسم على الورق والزجاج، فكل هذه الأساليب الصناعات تربطه بماضي أجداده وحضارته وبالتالي معرفة عاداته وتقاليده، والمحافظة على هويته من خلال معرفة تراثه (انظر اللوحة رقم 01).

اللوحة رقم 01: ورشة صناعة الفسيفساء والفخار والرسم على الزجاج، المتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية



■ **الإعلام:** يعتبر الإعلام بمختلف أنواعه المقروء (جرائد، مجلات، منشورات) أو السمعي البصري وفق معزوز (1997) عنصرا هاما يمكن للمتحف والمدرسة أن يوظفه للتعريف بنشاطات المتحف وإعلامها للمدارس والجامعات، بشكل منتظم لما توفره وسائل الإعلام من دعم دعائي وإشعاري لنشاطات المتحف على أوسع نطاق خدمة للمدرسة التربوية، ولا يكون إلا بالسعي لربط علاقة متينة قوية مع هذه الوسائل الإعلامية، للمحافظة على تراث الأجداد وبالتالي المحافظة على الهوية الوطنية، مع انجاز مقالات ونشرها في وسائل الإعلام خاصة في حوارات إعلامية تتعلق بدور المتحف في المدرسة بهدف تثقيف وتحسيس الطلاب والتلاميذ لخدمة الثقافة والهوية، أما الإعلام السمعي البصري فنظرا لانتشاره الواسع بين مختلف شرائح المجتمع فالاستغلال الأحسن لهذه

الوسائل لمد الجسور بين المتحف والمدرسة وتسخيره لخدمتهما، وذلك بانجاز حصص ثقافية تربوية وإجراء مقابلات وحوارات إذاعية تلفزيونية للتعريف بأنشطة المتحف المقرونة بالمقررات التربوية لتبليغ رسالة علمية ثقافية وتربوية لهذا الجيل الذي تكونه المدرسة والمتحف وتوعيته بالحفاظ على هوية الوطنية من خلال تضافر هذه المؤسسات، ويجب إشراك الإعلاميين في دعوتهم من طرف المؤسسة المتحفية عند الزيارات التي يقوم بها التلاميذ وطلاب الجامعات إلى المتحف وتصويرها والكتابة عنها، هذا من شأنه أن يحقق دورا بالغ الأهمية في نفوس الطلبة والتلاميذ وكذا عمال المتحف في تحفيزهم بزيارات أخرى ونشر هذه المبادرة للمدارس الأخرى، وتحسيسهم بتراث الأجداد وهويتهم الوطنية (انظر الصورة رقم 06).

الصورة رقم 06: الزيارات المتحفية لتلاميذ المدارس للمتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية



❖ **أسباب عدم مرافقة المتحف للمؤسسات التربوية والتعليمية:** يعتبر الإحصاء عنصرا أساسيا وعاملا مهما في ترقية وتنمية متاحفنا فهو بمثابة المقياس الحراري لنشاطات المتحف وبرامجه، ولذلك فهو معتمد لقياس البرامج والمخططات المعدة وتقييم لمقدار نجاعتها ومدى نجاحها في الميدان، وعلى هذا تستقطب المتاحف الجزائرية على اختلاف أصنافها مجموعات قليلة من الزوار متباينة العدد، تختلف من متحف لآخر، بل أحيانا تسجل تراجعاً خطيراً أثر تأثير سلبي على مردودها الثقافي والتربوي، حيث يتوافد على المتاحف الجزائرية خاصة والعربية والإسلامية عدد من الزوار في شكل جماعي وفردى للترود بالمعارف والثقافة، فمن خلال ملاحظة جدول إحصاء زوار المتحف الوطني للآثار القديمة بالجزائر العاصمة لسنة 2017 (انظر الجدول رقم 01).

خليل وهيبة

الجدول رقم 01: إحصاء دخول الزوار إلى المتحف الوطني للآثار القديمة (مدينة الجزائر) لسنة 2017

الشهر	الأفواج المدرسية	الزوار الوطنيين البالغين	الزوار الأجانب	الوفود الرسمية	المجموع
جانفي	90	469	80	02	641
فيفري	00	235	77	08	320
مارس	09	364	82	00	455
أفريل	546	285	358	14	1203
ماي	35	306	232	00	573
جوان	17	168	42	02	229
جويلية	08	183	64	00	255
أوت	00	118	40	00	158
سبتمبر	00	67	16	00	83
أكتوبر	27	114	143	11295	
نوفمبر	33	143	75	01	252
ديسمبر	05	199	39	00	243
المجموع	770	2651	1248	38	4707

يتضح وجود أربع فئات، وهي الزوار الوطنيين البالغين، الأفواج المدرسية، الزوار الأجانب، الوفود الرسمية، وما يهمنا في هذا الجدول هي الأفواج المدرسية (التلاميذ وطلاب الجامعة)، فنلاحظ من خلال الجدول أن عدد الزوار بصفة عامة قليل مقارنة بالمتاحف الأوروبية، وإذا لاحظنا عدد الزوار المتمدرسين فهو ضئيل جدا، فهذا الطفل المتمدرس الذي نعهده ليكون في المستقبل مواطنا معتزا بقيمه وتراث وهويته وهوية أجداده وأيضا زائرا للمتحف تبين من خلال تحليل الجدول أننا لا نستطيع وضع هذه المؤسسة التي تحمل في جنباتها تراث وهوية الإنسانية على هامش اهتماماته، وهذا راجع ربما، إلى الغياب من قبل المؤسسات التربوية والتعليمية بعلاقتها مع المتحف باعتبار أن المدرسة تمثل التعليم النظامي و المتحف مؤسسة تثقيفية تربوية غير نظامية، يشعر فيها المتمدرس بالحرية التامة، وهذا الانفصال بين المدرسة والمتحف يرجع إلى :

✓ أن متاحف العربية والإسلامية لا تزال بعيدة عن دورها المتمثل في الاتصال بأفراد المجتمع خاصة المتمدرسين بسبب نقص استعمال آليات ووسائل اتصال المطلوبة كالإعلام والإعلان قصد الاستفادة

منها كمؤسسة تحمي التراث وتعرضه للأجيال، للمحافظة على الهوية الأصيلة، وكذلك عدم استغلال التكنولوجيا الحديثة كالحاسوب، الفيديو، الأجهزة السمعية والبصرية.

✓ غياب مقررات تربوية في المؤسسات التعليمية تحفز على غرس الهوية الوطنية، والتي تدفع بالمسؤولين إلى ربط ما يتلقاه الطفل المتدريس في حبرات الدروس من معلومات نظرية بما هو موجود بقاعات وأروقة المتاحف فيرتبط النظري بالتطبيقي.

✓ نقص التمويل وعدم تخصيص الدعم المادي اللازم من قبل الجهات المعنية بما يمكن المتاحف من أداء مهامها على الوجه الأكمل، وكل هذا راجع إلى غياب الحس والثقافة المتحفية لدى المواطن، مما جعل زيارة المتاحف في آخر سلم أولوياته.

✓ عدم التنسيق بين مختلف مؤسسات الدولة التي تعنى بالجوانب الثقافية والبناء الثقافي للمواطن مثل : وزارة الثقافة ووزارة التربية والتعليم ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي ووزارة الإعلام ووزارة السياحة والآثار العامة، فلكل وزارة من هذه الوزارات رسالة ثقافية تتصل باختصاصها، ولا بدّ لهذه الرسائل أن تتكامل في رسالة واحدة، من خلال التنسيق بين أدوار هذه الوزارات، حتّى لا يناقض بعضها بعضاً، وحتى يكون أداؤها قوياً ومؤثراً، كما أنّ مثل هذا التنسيق يساعد على تحقيق غاية نبيلة أخرى وهي أن يكون لكل مشروع وطني في أي مجال من مجالات التنمية بعده الثقافي والهوياتي، وأن تكون له نتائج تخدم ثقافة الأمة وقيمها ومبادئها وتطلعاتها وفكرها وعقيدتها وتراثها وإبداعها وهويتها، لأنّ أي مشروع وطني لا يستند لثقافة الأمة أو يصبّ في خدمتها، سيكون مشروعاً معزولاً عن روح الأمة وغير قابل للحياة والاستمرار وإن غياب الرؤية الثقافية عن كثير من مؤسساتنا الوطنية هو السبب الرئيسي لعدم المحافظة على الهوية الوطنية.

❖ **خاتمة:** ما يخلص إليه أن للمتحف دور مهم وأساسي، فربط المتحف بالمدرسة وتقريبه من الزائر يجعل من هذه المؤسسة فعالة في الحفاظ على مقومات الهوية الوطنية وربط النشء بماضيه من خلال معروضات أسلافهم، وبالتالي استكشاف حضارات الشعوب الأخرى، فلا بد من التعاون والتنسيق بين المؤسسات التربوية والتعليمية والمتاحف لتساهم في تطوير وتنمية معارفهم التاريخية و الجغرافية و العلمية والأدبية وكذا مساعدة القائمين على العمل بالمتاحف من القيام ببحوثهم وتعمقهم في اختصاصاتهم وبالتالي تكون المؤسسات قد ساهمت في الحفاظ على الهوية الوطنية، كما أن هذه الوثائق المحفوظة في المتحف على اختلاف أنواعها تعتبر وثائق تاريخية وحضارية ووسائل تعليمية نادرة ومهمة في مختلف الدراسات التاريخية والاجتماعية والثقافية فهي مصدر لمعلومات غير محددة من شأنها أن تفيد التلميذ وتزرع فيه حب الاكتشاف وبالتالي حب التعرف على هوية أجداده ومن ثم توحى وتزرع فيه أفكارا جديدة وهوية خالية من التبعية الأجنبية.

وفي الأخير نستطيع القول أن الهوية الوطنية هي تلك البصمة التي تطبع الشخصية الوطنية وتميز مجتمع عن آخر وذلك من خلال عموميات و ثوابت ثقافية راسخة لدى الفرد ورثها من جيل لآخر انطلاقا من عاداته وتقاليده وتراثه، يكتسبها من الأسرة والمؤسسة التربوية التعليمية والثقافية...، لكن هذا لا ينفي وجود اختلاف مباح حول بعض العناصر الثقافية، والتي لها حدود لا يجب أن نتجاوزها و إلا أصبحت تهدد وحدة وسلامة المجتمع وهويته الوطنية.

❖ قائمة المراجع:

1. ابراهيم، محمد (2002). الهوية والقلق والابداع. مصر: دار القاهرة للطباعة والنشر.
2. البستاني، بطرس (1987). محيط المحيط. لبنان: مكتبة لبنان.
3. الجرجاني، أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي (1405هـ). التعريفات. (تحقيق ابراهيم الأبياري). بيروت: دار الكتاب العربي.
4. بن نعمان، أحمد (1996). الهوية الوطنية: حقائق ومغالطات. الجزائر: شركة دار الامة.
5. خليل وهيبة واخرون. (2011). دليل المتحف الوطني للآثار القديمة. الجزائر: مطبعة العوساتي.
6. دليو، فضيل (2010). العولمة والهوية الثقافي. مخبر بحث علم الاجتماع والاتصال للبحث والترجمة، جامعة قسنطينة، الجزائر.
7. ساطع، مساعدة (د.س). أنباء المتاحف العربية. الاردن: مطبعة الاردن.
8. شراد، العلمي (2015). النظام التعليمي وثوابت الهوية الوطنية. مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم اجتماع التربية، قسم علم اجتماع التربية، جامعة الجزائر.
9. صليبا، جميل (1973). المعجم الفلسفي. بيروت، لبنان: دار الكتاب اللبناني.
10. عطية، محمد عبد الرؤوف (2009). التعليم وازمة الهوية الثقافية. القاهرة، مصر: مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع.
11. لعمى، عبد الرحيم (2006). المتحف ودوره في المجتمع-متحف أحمد زيانا بوهان أنموذجا. مذكرة لنيل شهادة الماجستير في شعبة الفنون الشعبية. جامعة تلمسان، الجزائر.
12. ابراهيم مصطفى واخرون. (1972). المعجم الوسيط، تركيا: المكتبة الإسلامية استنبول
13. معزوز، عبد الحق (1997). المتحف عامل اتصال. مجلة حوليات، المتحف الوطني للآثار القديمة، الجزائر، (6)، 47-29